تحريم الاستعانة بغير الله







الدخلاوي علال

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 23/3/2022 ميلادي - 18/8/1443 هجري

الزيارات: 12617

تحريم الاستعانة بغير الله

الاستعانة معناها: طلب العون والتوفيق[1]، وهي من العبادات القلبية التي لا تصرف إلا إلى الله تعالى؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]؛ أي: نطلب العون منك في جميع أمورنا[2]، وفي الحديث: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف))[3]، قوله: ((وإذا استعنت فاستعن بالله))؛ أي: أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة، فاستعن بالله، فإنه المستعان وعليه التكلان في كل زمان ومكان[4].

وفي هذا يقول الحافظ ابن رجب: "وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق، فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله، فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه، وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز))[5]، ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولًا، ومن كلام بعض السلف: يا رب، عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك؟ عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك؟"[6].

وإذا علم هذا، فإنه لا وجه لمن يستعين بالجن في العلاج، أو كشف السحر، أو التحصن بهم واعتقاد أنهم يقدرون على جلب النفع ودفع الضر؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: 6]؛ رهقًا؛ أي: خطيئةً وإثمًا[7]، فقد كان الرجل من العرب إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه[8]، فيبيت في جواره حتى يصبح، وكان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم[9].

وفي هذا نوع استمتاع وتبادل منافع بين الإنس والجن، فالجني يحمي الإنسي ويخدمه، والإنسي يعظم الجني ويتقرب إليه؛ وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: 128]، فقوله تعالى: ﴿ اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾؛ أي: تمتع كل من الجني والإنسي بصاحبه وانتفع به، فالجني يستمتع بطاعة الإنسي له وعبادته، وتعظيمه، واستعاذته به، والإنسي يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغ حاجاته[10].

هذا، وإنمـــا كانت الاستعانة بالـجن في الـعلاج وكشف السـحر وغيره غير جائـــزة لأمور:

أولًا: لأن الاستعانة بالــجن شرك بالله، لأنه لا يـــجوز دعاء وتعظيــــم غير الله، ولأنه لا يقدر على دفع الضـر وجلب النفـع إلا الله وحده، فمن عظـم الـجن واعتقــد فيهم جلب الشـفاء وكشف الـضر، فقد أشرك بالله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [فصلت: 36]، فأمر سبحانه وتـعالى بدفع وساوس الشيطان ونـزغاته بالاســتعاذة به جل شأنه، فهو وحده القــادر على دفع كيد الشيطـــان وأذاه، ولله المثل الأعلى، فلا يستعاذ من الكلاب إلا بـــــــرب الكلاب، وقد حُكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الـخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يـــــطول، أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنع من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك**[11]**، فلـــو كانت الاستعـــــاذة بغير الله جائـــــزة لـــما ذم سبحانه وتعالى استعاذة الإنـــس بالـجن في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: 6]؛ أي: إثمـــًا، وذلك أن الاستــــــــعاذة بهم تتضمـــــن تعظيمًا، واعترافًا بالقــــدرة على جلب النفــع ودفع الـــضرر، وهي أمور لا تُنسب إلا إلى الله تعالى.

ثانيًا: أنه إذا كان ما يخبـــــر به الإنســـان يتوقف فيه حتى يتبيـــن صوابه، فمن باب أولى إخبار الـــجني، لأنه لا يعلـــم حاله ولا صدقه ولا صلاحه؛ قال تعالى: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: 6]، وتــلبس الـــجني بالإنسي وأذيته له هو فسق ظاهـــر، خصـوصًا إذا علمنا أن الـجن من طبعهم الـــــكذب؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الجن: 11]، وفي الـحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعليَّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً، وعيالًا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك، وسيعود، فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله، شكا حاجةً شديدةً، وعيالًا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: 255]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: 255]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبـح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة، قال: لا، قال: ذاك شيطان))**[12]**؛ قال ابن حـجـر: "قـوله: ((وهو كذوب))، هو من التتميم البليغ لأنه لـــــما أوهم مدحه بوصفه الصدق في قوله: ((صدقك))، استدرك نفي الصدق عنه بصيغة مبالغة والمعنى: صدقك في هذا القول مع أن عادته الكذب المستمر، وهو كقولهم: قد يصدق الكذوب"**[13]**؛ ولهذا نهى صـــلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان وتـــــــــصديقهم؛ فعن صـــفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صــــلاة أربعيـــن ليلةً))[14]**؛أي: إنه لا ثواب له فيها**[15]**، وإنـما نهي عن إتيان الكهان وتصديـــــقهم لأن ما يتلقـــونه من الـــجن من أخبار، أغلبه كذب وبهتان.

ثـــالثًا: إن الاستعانة بالـــجن جــرت العـــادة أنها لا تقـــع إلا بين الشياطين من الإنس والـــــجن؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: 112]؛ إذ لم يثبت عن النبي صـــلى الله عليه وسلم أنه استعان بالـــجن أو استنصــــر بهم، وكذلك صـحابته الكرام، والصالـحون من بعده، بل نـجد أن الـشرع حث على الاستعاذة بالله من الـجن والشياطيـــــــن؛ قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [الأعراف: 200]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: 97، 98].

رابعًا: أُمـــرنا بالـــحذر من فتنة الشيطــــان وألاعيبه، لأنه عدو للإنســــــان؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: 6]، وقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴾ [الأعراف: 27]، فعداوة الشياطين للإنسان ظــاهرة وغير خافية، فقد يأتي الإنسان في صــــورة الناصـح الأمين ليستدرجه ويــــوقعه في الهلاك، كما فعل مع آدم عليه السلام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ﴾؛ أي: لا يصـــــــرفنكم الشيطان عن الدين، كما فتن أبـــــويكم بالإخراج من الــــجنة**[16]**.

خامسًا: إن الاستعانة بالـجن تـؤدي إلى تسلطهم على الإنس وإصابته بالخبــــــل؛ ولهذا قال المفســـرون: كان الـــجن يفرقون**[17]** من الإنس كما يـفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نـــــزلوا واديًا هرب الـــجن، فيقول سيد القــــوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي، فقال الـــجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالـخبل والـــجنون**[18]**.

وبناء على هذا كله، فإنه لا يجوز تصديق الجن أو الاستعانة بهم في الحماية، أو كشف السحر أو غير ذلك، سدًّا لذريعة الفتنة والفساد، فمن كان مستعينًا فليستعن بالله، ومن كان مستجيرًا فليستجر بالله، ومن كان معتصمًا فليعتصم بالله، وليأخذ بالأسباب المشروعة، ففيها الغنية عما سواها؛ وفي الحديث عن خولة بنت حكيم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من نزل منزلًا فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق))؛ فإنه لن يضره شيء حتى يرتحل[19]، قال الملا علي القاري: "وفي هذا الحديث رد على ما كان يفعله أهل الجاهلية من كونهم إذا نزلوا منزلًا قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي ويعنون به كبير الجن"[20].

والحمد لله أولًا وآخرًا.

---

[1] تفسير القرطبي، ج1، ص145.

[2] تفسير ابن عطية، ج1، ص72.

[3] سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج8، ص3324.

[5] صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

[6] جامع العلوم والحكم، ج2، ص573.

[7] تفسير القرطبي، ج19، ص10.

[8] تفسير الطبري، ج23، ص654.

[9] تفسير القرطبي، ج19، ص10.

[10] تفسير السعدي، ص273.

[11] تفسير القرطبي، ج7، ص348.

[12] صحيح البخاري، باب إذا وكل رجلًا، فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز.

[13] فتح الباري، ج9، ص59.

[14] صحيح مسلم،كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

[15]المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج14، ص227.

[16] تفسير القرطبي، ج7، ص187.

[17] يخافون.

[18] تفسير ابن كثير، ج8، ص239.

[19] صحيح مسلم، ما يؤمر به من الكلام في السفر.

[20] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج4، ص1682.
